كرة القدم

لماذا لها كل هذا السحر والسلطان؟

بقلم أبو المعاطي أبو النجا

ربما لانها مستديرة، والدائرة أجمل الاشكال الهندسية في سكونها وحركاتها كما قال الفلاسفة منذ أقدم العصور .

ربما لأن كل نقطة في سطحها تصلح لأن تكون بداية ونهاية بالدائرة في الوقت نفسه فتتساوى كل النقاط في علاقة الجزء الازلية بالكل الازلي ومادامت الدائرة تتحرك في كل اتجاه كما يحدث في كرة القدم فإن علاقة جميع النقاط على سطحها تتساوى أيضا في علاقتها بكل الجهات الاصلية والفرعية الشمال والجنوب الشرق والغرب وما بينهما !!

ربما لان فكرة الدائرة لا تختلف سواء كانت بحجم كرة المنضدة أو كرة القدم أو الشمس أو القمر !

ربما لان حركة كرة القدم حينما تصنعها قدم اللاعب إنما تترجم بعدالة كاملة وبدقة متناهية ما تمتلكه قدم اللاعب من كفاءة كاملة أو ناقصة فهي حينما تصل في الوقت المناسب إلى المكان المناسب لقدم اللاعب الأخر من نفس الفريق تصبح لأول مرة المقياس الصحيح لهذه الكفاءة، ولاول مرة لا أجد من يمتلك قدرة التشكيك في مثل هذا المقياس وأن صيحة الإعجاب تنطلق من حناجر الالاف في الملعب ومن حناجر الملايين في نطاق الشاشات المرئية تحقق ذلك الاجماع النادر حول صحة مقياس الكفاءة ولا مجال للشكوى أو التشكيك أو الاختلاف وهى حين تعجز عن الوصول إلى المكان المناسب في الوقت المناسب بفضل القصور أو المصادفة فإن الفارق بين ما يفعله العجز وما تفعله الصدفه يكون لاول مرة واضح للجميع فلا مجال للتعليلات أو التبريرات !

وهى حين تصل إلى المكان المناسب في الوقت المناسب للشخص المناسب فهي تعطي كل جوانب الكفاءة فهى كفاءة التخاطب بين عقلين وكفاءة الجسد بوعيه لمعنى المسافة والزمن واتجاه الحركة أنها تعقد في حركتها الذكية وفاقا عبقريا بين ضرورات الطبيعة وإرادات اللاعبين التى تعبر عن حريتهم وهى هنا أيضا تعطي أجمل معنى الحرية التى تصبح هى الوعي بقانون الضرورة وضرورة النظام حيث تكون الحرية هى ما يمكننا أن ننتزعه بذكاء من خلال احترامنا لهذين القانونين ولا شئ أخر!

وربما لأن لعبة كرة القدم تجمع في صلح عبقرى بين حاجة إلى الإنتماء إلى مجموعة وحاجته إلى التميز بين هذه المجموعة وحاجته إلى الصـراع ضـد مجموعة أخرى !

بين أن يكون تملكه للكرة في لحظة وسيلة للفوز وبين أن يكون تخليه عنها في لحظة أخرى وسيلة لنفس الفوز!

ربما لانها ولاول مرة تجمع بين الحرية والنظام دون أن يضحي لأحدهما في سبيل الأخر.

ربما لأنها ولأول مرة تضع حدا للجدل العقيم عن الفرق بين الغاية والوسيلة ففي كل لحظة من المباراة تلتحم الغاية بالوسـيلة ولا يفصـل بينهما سـوى وقوع اللاعب في خطأ واضـــح أو تقدير خاطئ وحين يقع الخطأ فلا مجال مرة أخرى للجدل العقيم حول المسئول عن الصواب والخطأ لان عين الحكم ومســـاعدية وعيون الجمهور والكاميرات ترى وتســـجل وتفحص ويعيد التصـــوير البطئ عجلة الزمن التى لا تتوقف إلى الوراء فتبدو الحقيقة لأول مرة عارية أمام العيون ... أمام كل العيون!

ربما لأنها وهى كرة واحدة يتقاتل عليها اثنان وعشـــرون لاعبا تبدو وهى كرة واحدة أكثر من كافية لكي يواصلوا صراعهم من أجل الحصول عليها، من أجل أن تكون وســـيلة الجميع للفوز، ولا أحد يشـــكو من قلة العرض والطلب ، لأول مرة يفقد قانون العرض والطلب وظيفته لا أحد ينشـــد الحل بزيادة عدد الكرات قانون العرض والطلب يترك مكانه لقانون أخر هو " تكافؤ الفرص" .

وهو القانون الذى يسـود وينتصـر في ملعب كرة القدم مؤكدا مرة أخرى أن عامل الندرة هو صانع القيمة والجودة والامتياز !

الكفاءة وحدها هي ما ينبغي أن تزيد ، سقف الكفاءة وحده هو ما ينبغي أن يرتفع ، مملكة الكفاءة وحدها هي المملكة التي لا يفكر أحد في ملعب كرة القدم أن تكون لها حدود دائمه أو مشروعه !

ربما لأن الفوارق بين الزمان والمكان تختفي في الملعب لأول مرة فكلاهما يعمل من خلال وعي اللاعب لتحقيق الفوز لا يكون التقدم في المكان وحده دليل الظفر ، بل قد يكون الإنســـحاب في لحظة هو الطريق الوحيد للتقدم في لحظة أخرى ولاول مرة يصبح تبادل الأدوار لا يقل أهمية عن الدور نفسه ، ففي أرجاء الملعب لا يوجد دور ثابت لشـــخص ثابت ، بل تنتهي في الملعب

تلك الأســـطورة الســـخيفة حول علاقة الرجل بالدور فالباب الملكي لأعظم الأدوار يمكن أن يفتح أبوابه لأى لاعب يعرف كيف يطرقه بقدمه الذهبية!

ربما لأن في ملعب كرة القدم أكثر من أى مكان أخر يتاح للعبه الذكية أن تحُدث تأثيرا واحدا في قلوب الملايين فتلتقي في لحظة واحدة من الزمان قلوب توزعت في ملايين الأمكنة لا يعرف أحدهما الأخر، ولكنهم جميعا يعرفون جمال اللعبة الذكية التى تختصـــر عبقرية الجســـد وعبقرية الروح الذكية المغامرة فتسقط العزلة التى يصنعها المكان كما تصنعها هموم الفرد وترتفع لغة واحده عالميه يقدر الجميع على فك شفرتها ، لغة تحمل رسالة الفرح الإنســاني الذى تمنحه ملايين الأشــخاص امكنهم أن يوســعوا أمامهم حدود مملكة الكفاءة ويمنحونه بطاقة دعوى للتجول فيها لبعض الوقت !

ربما لأننا فى "المونديال" نلتمس طريق الحل للمشكلة الأزلية حول العلاقة بين العولمة والخصـــوصـــية فالطريق إلى العولمة يبدأ من الكفاح من خلال الخصـوصـية ، ودوافع الخصـوصـية تدفعنا خطوات في اكتسـاب الصـفات الأرقلى للتقدم في الصـــراع من خلال الاحتكاك بالأخرين نتقدم وفي اعماقنا أن يرى العالم ما أصبحنا نمتلك من كفاءة !

ويصبح "المونديال" بيت العائلة الذى يلتقي فيه الأولاد مرة كل أربع أعوام يأخذ كل فريق من أبناء العائلة الإنســـانية مكانه فيه ونصـــيبه منه بالكفاءة وليس بالوراثة!

وربما ... وربما ... !